

رَفَعٌ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

الدلائلية

دار البدار الأمين

بقلم  
أبي أسامة سليم بن عبد الهادي  
كان الله له

الرؤية التداوية

في

فقر الدم بين السائرين

عبد الرحمن

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

الرُّوضَةُ الْبَيْتِيَّةُ

فِي

فَقْرٍ الْبَيْتِيَّةِ الْبَيْتِيَّةِ

بِقَلَمِ

أَبِي إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

بَنِي اللَّهِ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فإن الإسلام منهج رباني: عقائده وعباداته، وآدابه وأخلاقه، وشرائعه ونظمه.

ولذلك حث الله عباده أن يكونوا ربانيين: ﴿مَا كَانَ

لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ  
لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا  
رَبَّانِيًّا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ  
﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وعليه؛ فإن الأمة التي يُقبض منها الربانيون أمة دنت  
شمسها من الغروب؛ لأنها تحتضر.

وذلك: أن الربانية في كتاب الله ربطت بالتعليم والتربية  
والدعوة إلى الله ومنهج التلقي والاستدلال، وهذه الأمور  
مجتمعة بها قوام الأمم وقيامها.

وفي هذه الدراسة الموجزة نسبر أغوار الربانية في كتاب  
الله؛ لتتعلم منها معان جديدة، ونستنبط فوائد عديدة، تعين  
الربانيين على القيام برسالتهم، وتبليغ دعوتهم إلى أمتهم على  
خطى سيد المرسلين وأصحابه الأكرمين.

وأصلها محاضرات ألقيتها في «الدورة العلمية الثامنة»  
التي عقدها مركزنا مركز الإمام الألباني للدراسات  
المنهجية والأبحاث العلمية بتاريخ (١٩/ جمادى الآخرة -

٢/ رجب/ ١٤٢٧هـ) الموافق (١٥-٢٧/ تموز/ ٢٠٠٦م)  
 وكان نصيبي مادة «أسس المنهج السلفي».  
 وقد ألحّ كثير من طلابي -سددهم الله- وبعض من  
 إخواني المشايخ -حفظهم الله- على تهذيبها وترتيبها  
 ونشرها؛ لتتم فائدتها، فنشطت إلى تحقيق رغبتهم، سائلاً  
 المولى -عز وجل العون- والسداد، والتوفيق؛ والرشاد إنه  
 ولي ذلك والقادر عليه.

وكتبه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

٥ رجب الفرد ١٤٢٧هـ

في مكتبتي العامرة من داري في عمان البلقاء  
 عاصمة جند الأردن من بلاد الشام المحمية



فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال -تعالى-: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ  
عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا  
يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

ومن تدبر هذه الآيات وجد الأمور الآتية:

١- في آية آل عمران ربط مولانا الحق بين الرباني ودراسة  
الكتاب وتعليمه.

٢- وفي الآية الأولى من سورة المائدة وصفهم بأنهم  
علماء استحفظوا كتاب الله، وكانوا عليه شهداء.

٣- وفي الآية الثانية من سورة المائدة وصفهم بأنهم  
علماء يأمرون الناس بالمعروف، وينهونهم عن المنكر.

إذا فالرباني: هو العالم العامل الفقيه، البصير بسياسة  
الناس؛ فيربيهم بصغار العلم قبل كباره.

قال المبرد: «هم أرباب العلم سموا به؛ لأنهم يربون العلم،  
ويقومون به، ويربون المتعلمين بصغار العلم قبل كباره».

وهذا ما ذكره البخاري فقال: «وقال ابن عباس: كونوا

ربانيين حلماء فقهاء، ويقال الرباني: الذي يربى الناس بصغار العلم قبل كباره»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «هذا التعليق وصله ابن أبي عاصم بإسناد حسن، والخطيب بإسناد آخر حسن. وقد فسر ابن عباس: «الرباني» بأنه الحكيم الفقيه، ووافقه ابن مسعود فيما رواه ابن الحربي في «غريبه» عنه بإسناد صحيح، وقال الأصمعي والإسماعيلي: الرباني نسبة إلى الرب؛ أي: الذي يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم والعمل».

وقال ثعلب: قيل للعلماء ربانيون؛ لأنهم يربون العلم؛ أي: يقومون به، وزيدت الألف والنون للمبالغة. والحاصل: أنه اختلف في هذه النسبة هل هي إلى الرب أو التربية، والتربية على هذا العلم، وعلى ما حكاه البخاري لتعلمه. والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها.

(١) «صحيح البخاري» (١/١٦٠ - فتح).

وقيل: يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده.

وقال ابن الأعرابي: لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً كاملاً<sup>(١)</sup>.

وقال الخطيب البغدادي: «فالعالم الرباني هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل، ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد». وقد دخل الوصف بأنه رباني، وصفه بالصفات التي يقتضيها العلم لأهله، ويمنع وصفه بما خالفها.

ومعنى الرباني في اللغة: الرفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه، وعلى ذلك حملوا قول الله - تعالى -: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

عن مجاهد، قال: «الربانيون: الفقهاء، وهم فوق

(١) «فتح الباري» (١/١٦١-١٦٢).

الأخبار»<sup>(١)</sup>.

وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: «حكماء وفقهاء»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي رزين في قوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: «فقهاء علماء»<sup>(٣)</sup>.

عن أبي عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد قال: سألت ثعلباً عن هذا الحرف (رباني) فقال: سألت ابن الأعرابي، فقال: «إذا كان الرجل عالماً عاملاً، معلماً قيل له: هذا رباني، فإن حرم عن خصلة منها، لم يقل له رباني»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي بكر الأنباري عن النحويين: أن الربانيين منسوبون إلى الرب، وأن الألف والنون زيدتا للمبالغة في النسب؛ كما يقول: لحياني جماني، إذا كان عظيم اللحية والجممة»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه ابن جرير (٣/٣١٢٦)، وهو صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣/٣٥٧)، وهو حسن بطرقه.

(٣) أخرجه ابن جرير (٣/٣٢٦)، وهو صحيح.

(٤) إسناده صحيح.

(٥) «الفييه والمتفقه» (١/٥١).

قال البغوي: «واختلفوا فيه، قال علي وابن عباس والحسن: كونوا فقهاء علماء، وقال قتادة: حكماء وعلماء، وقال سعيد بن جبير: العالم الذي يعمل بعلمه».

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: فقهاء معلمين.

وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء: علماء حكماء نصحاء لله في خلقه، قال أبو عبيدة: سمعت رجلاً عالماً يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، والعالم بأبناء الأمة ما كان وما يكون، وقيل الربانيون: فوق الأخبار، والأخبار: العلماء، والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس.

قال المؤرج: كونوا ربانيين تدينون لربكم، من الربوبية، كان في الأصل ربي فأدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبهراني.

وقال المبرد: «هم أرباب العلم سموا به؛ لأنهم يربون

العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلم»<sup>(١)</sup>.  
 وقال القرطبي: «﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾؛ أي:  
 ولكن جائز أن يكون النبي يقول لهم: كونوا ربانيين...  
 والربانيون واحدهم رباني منسوب إلى الرب، والرباني الذي  
 يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وكأنه يقتدي بالرب  
 سبحانه في تيسير الأمور، وروى معناه عن ابن عباس: قال  
 بعضهم: كان في الأصل ربيّ فأدخلت النون والألف للمبالغة،  
 كما يقال للعظيم اللحية: لحياني، ولعظيم الجملة: جماني،  
 ولغليظ الرقبة: رقباني.

وقال المبرد: الربانيون أرباب العلم، واحدهم ربان، من  
 قوله: ربه يربه؛ فهو ربان: إذا دبره وأصلحه، فمعناه على  
 هذا: يدبرون أمور الناس ويصلحونها. والألف والنون  
 للمبالغة كما قالوا: ريان وعطشان، ثم ضمت إليها ياء  
 النسبة كما قيل، لحياني، ورقباني، وجماني.

(١) «معالم التنزيل» (٢/ ٦٠).

قال الشاعر:

لو كنت مرتهاً في الجو أنزلني      منه الحديث ورباني أجباني

فمعنى الرباني: العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه؛  
لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم.

وقال أبو رزين: «الرباني هو العالم الحكيم».

عن عبد الله بن مسعود: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنِيْنَ﴾  
قال: «حكماء علماء».

ابن جبير: «حكماء أتقياء».

وقال ابن زيد: الربانيون: الولاة، والأخبار: العلماء.

قال مجاهد: الربانيون فوق الأخبار.

قال النحاس: وهو قول حسن؛ لأن الأخبار هم العلماء،  
والرباني الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، مأخوذ من  
قول العرب: رب أمر الناس يربه إذا أصلحه وقام به، فهو  
راب ورباني على التكثير.

قال أبو عبيدة: سمعت عالماً يقول: الرباني: العالم  
بالحلال والحرام، والأمر والنهي، العارف بأنباء الأمة وما

كان وما يكون»<sup>(١)</sup>.

مما سبق يتبين أن شروط الرباني هي:

١- أن يكون فقيهاً عالماً: والفقهاء هو: «فهم غرض

المتكلم من كلامه»<sup>(٢)</sup>.

إذاً ليس فهم الكلام فقط بل غرضه؛ لذلك عرفه الراغب:

«بأنه التوسل إلى علم غائب بعلم شاهد»؛ فهو أخص من

العلم؛ والعلم معرفة الهدى بدليله، وهو:

قال الصحابة ليس بالتمويه

قال الله قال رسوله

بين الرسول وبين رأي فقيه

ما العلم نصبك للخلاف جهالة

فالرباني: عالم سلفي وفقهه أثري.

قال الأزهري: «فهمت الشيء: عقلته، وعرفته»<sup>(٣)</sup>.

٢- أن يكون عاملاً شديداً التمسك بدين الله - تعالى -

وطاعته؛ لأن الفقه ودقة الفهم لا يؤتيان لعاصٍ.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ١٢١-١٢٢).

(٢) «المحصول» (٧٨/ ١٠١).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ١٩).

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ﴾

[البقرة: ٢٨٢].

والعلم الذي لا يبعث على العمل لا يعد صحيحًا،  
والعلم النافع ملكة راسخة في نفس العالم، وصفة شائخة  
لهمته، والعالم يعبر عما رسخ في نفسه، ويصبو ليعانق همته،  
ولذلك ﴿يَرَفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا  
الْعِلْمَ﴾ [المجادلة: ١١].

لذلك لم نسمع عن فقيه عالم إلا إذا كان عابدًا عاملاً،  
وكتب التاريخ والتراجم والسير خير دليل على ذلك.

٣- أن يكون معلمًا لغيره مربيًا له، لأن لفظ «الرب»  
نفسه يدل على التربية؛ لقوله تعالى عن يوسف - عليه  
السلام-: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]،  
فهذا هو عزيز مصر رباه وأحسن مثواه، فحري بالربانيين أن  
يحسنوا مثوى طلابهم.

والمربي على الحقيقة هو الله - سبحانه وتعالى-؛ لأنه  
خالق الخلق، ووهاب المواهب، كما أخبر سبحانه عن

نفسه في خاتمة سور القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾  
 مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الناس: ١-٣].  
 وقرر ذلك رسول الله ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها،  
 وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»<sup>(١)</sup>.

٤- اللفظ يشعر بعظم علم وطاعة صاحبه.

قال الإمام الشاطبي - / - : «ويسمى صاحب هذه  
 المرتبة: الرباني، والحكيم، والراسخ في العلم، والعالم،  
 والفقير، والعامل؛ لأنه يربي بصغار العلم قبل كباره، ويوفي  
 كل أحد حقه حسبما يليق به، وقد تحقق بالعلم وصار له  
 كالوصف المجبول عليه، وفهم عن الله مراده.  
 ومن خاصته أمران:

أحدهما: أنه يجيب السائل على ما يليق به في حالته على  
 الخصوص إن كان له في المسألة حكم خاص؛ بخلاف  
 صاحب الرتبة الثانية، فإنه إنما يجيب من رأس الكلية من  
 غير اعتبار بخاص.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

والثاني: أنه ناظر في المآلات قبل الجواب عن السؤالات؛  
 وصاحب الثانية لا ينظر في ذلك، ولا يبالي بالمآل إذا ورد  
 عليه أمر أو نهي أو غيرهما، وكان في مساقه كلياً<sup>(١)</sup>.



## الثمر الداني في أنواع الربانية والرباني

أولاً: ربانية التعليم.

ومحور هذه الربانية القول المأثور: «الرباني: الذي يربي  
الناس بصغار العلم قبل كباره».

ودونك خطوات هذا المقام:

١- الجزئيات قبل الكلّيات.

كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر - / - في

«الفتح».

والمقصود بالجزئيات: ما ورد في كتب الفقه من مسائل

يطالب المكلف بفعالها إيجاباً أو استحباباً، أو تركها تحريماً  
أو كراهية.

والكلّيات: هي الأدلة والقواعد التي استنبطها العلماء

من تلك الجزئيات.

فلا بد للرباني أن يربي تلاميذه على مسائل الفقه قبل

الوصول بهم إلى قواعده وأدلته.

وبه يتبين: أن تقسيم الشريعة إلى قشر ولباب باطل من حيث القول والعمل؛ لأن النفس البشرية إن لم توطن على فعل الأمور الميسرة، ثم يتدرج بها إلى القمم السامقة؛ فلن تفلح إذا أبدًا.

وهذا أصل في تربية النفوس، وسياسة الناس، يجب أن يدركه العالمون الريانيون؛ فيحملون الناس بالتدرج من السهل إلى الصعب.

وعليه قام الإسلام من يوم نزوله على قلب محمد ﷺ حتى أكمل الله الدين، وأتمّ النعمة؛ فإن الله لم ينزل كتابه جملة واحدة، ولا أمر بأوامره دفعة واحدة، ولا نهى عن المعاصي مرة واحدة، وأوضح مثال: تحريم الخمر.

وعليه درج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والعلماء الريانيون، وهو من أعظم ما يرقّي العاملين إلى كل خير في الدنيا والآخرة.

لأن العامل إذا اشتغل بعلمه الذي هو وظيفة وقته، قصر

فكره وظاهره وباطنه عليه؛ فينجح، ويفلح، ويتم له الأمر،  
فمن تأنى نال ما تمنى، ومن ثبت نبت.

وإن استشرف أعمالاً وأصولاً لم يحن وقتها، ولم يأن  
قِطافها وقع على أم رأسه، واقتلع من أسه، ويومئذ فلا  
يلومن إلا نفسه؛ لأنه قد حفر رمسه بنفسه.

فإنه إن شغل بها أهمل العمل الذي هو وظيفة وقته،  
لأنه إن استبعد حصولها؛ فترت عزيمته، وانحلت همته،  
وصار نظره إلى الأعمال الأخرى ينقص من إتقان عمله  
الحاضر، وينقض جمع الهمة عليه.

ثم إذا جاء وظيفة العمل الآخر جاءه وقد قلّ نشاطه،  
وربما كان الثاني متوقفاً على الأول في حصوله أو تكميله،  
فيفوت الأول والثاني، بخلاف من جمع قلبه وقالبه على عمل  
في وقته، فإنه إذا جاء العمل الثاني يأتيه مستعداً بقوة ونشاط  
جديدين حصلهما من نشاطه وقوته في العمل الأول، فيتلقاه  
بشوق وعزيمة، وهكذا هو أبداً متجدد القوى؛ لأنه يستنير  
بالهدى، ويخالف النفس والهوى؛ فينجح، ويفلح، ويفوز.

قال - تعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا  
 أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ  
 وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ  
 تَثْبِيثًا ﴾ [النساء: ٦٦].

فالله - عز وجل - أرشد الخلق أن يكونوا أبناء وقتهم، وأن  
 يقوموا بالعمل الحاضر ووظيفته، ثم إذا جاء العمل الآخر  
 صار وظيفة ذلك الوقت، فاجتمعت المهمة والعزيمة الصادقة  
 عليه، وصار القيام بالعمل الأول معيناً على العمل الثاني،  
 فكان العبد أحسن نباتاً، وأشد ثباتاً، وأما من جعل حياته  
 كفاتاً، فمثله من جعل الليل لباساً والنهار سباتاً (!).

وعجبي لا ينقضي من بعض الحركات الإسلامية التي  
 اشغلت الناس بالسياسة العصرية لا السياسية الشرعية عندما  
 قلنا لهم: ينبغي عليكم قبل أن تزجوا الأمة في دهاليز السياسة  
 الخفية أن تربوها على الاستجابة الكاملة لله ولرسوله.

قالوا: أتريدوننا أن نشغل الناس بالقشور، ونجني

الخلاف، ونترك أهل الإلحاد يعيثون في الأرض الفساد...  
أتركهم يتسللون إلى قبب البرلمانات، ويتربعون على  
كراسي الوزارات.

علينا أن نرص الصفوف؛ لنصل إلى موضع نطالب منه  
بتحكيم الشريعة، وتنفيذ أحكام الله ... ولما وصلوا لم  
نسمع لهم ركزاً ... ومن ذكرهم بما وعدوا، قالوا له: إننا  
نطالب بتحكيم الشريعة بالتدرّج، فنقضوا ما رفضوا، وعضوا  
بالنواجذ على ما لم يرضوا ... فصاروا عصا الطاغوت،  
والعبوة الساسة، وقنطرة الذين يطلبون صيداً (!).

## ٢- وضوح المسائل قبل ما دق منها.

نص على هذا -أيضاً- الحافظ ابن حجر - / -؛ لأن  
الطالب في بداية تلقيه يكون عامياً، فمن جهل علماً؛ فهو  
عامي فيه، أمي في مبادئه، يصعب عليه فهم دقائق المسائل؛  
لذلك قال عليّ بن أبي طالب • :- «حدثوا الناس بما  
يعرفون، أتمحبون أن يُكذب الله ورسوله»<sup>(١)</sup>، ولأن الدخول

(١) أخرجه البخاري (١٢٧)، وروى مرفوعاً ولا يصح.

بالمبتدئ في غوامض المسائل مما يجعله يمل ويأس، ويشعر بالفشل والغباء، وربما يفقد ثقته بنفسه في أنه يستطيع أن يتلقى هذا العلم؛ فيكون ذلك سبب للنفور منه.

ومما ينتج عن ذلك كراهية التعر في الكلام، والبعد عن يسير القول والسهل من الكلام، والأنفع اختيار أقصر الطرق، وأسهل الأساليب التي يفهمها المخاطب، ويدرك كنهها، دون أن يؤدي ذلك إلى عدم الفهم أو تحميل المعاني ما لم تحتمل.

### ٣- الأصول قبل الفروع.

وهذا مبدأ واضح ضروري، فتعلم أصول الشريعة وقواعدها لا بد منه قبل فروعها، وأصل الأصول هو: العقيدة وتوحيد الباري: بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان به، وبأنبيائه، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر ودون ذلك؛ فالعمل يصيبه الإحباط.

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ

لِدُنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

عن ابن عباس -•- •- أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا -•- •- إلى اليمن قال: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله - تعالى-، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك، فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس»<sup>(١)</sup>.

#### ٤- المقدمات قبل المقاصد.

نص على هذا -أيضًا- الحافظ ابن حجر في شرحه للمقولة المذكورة.

ويقصد بالمقدمات: ما يتوقف عليه الشروع في العلم: وهو المعرفة العامة للأمر الكلية بالعلم، حدًا، واسمًا، وحكمًا، وموضوعًا، وغايةً، وفضلًا، ووضعًا، واستمدادًا، ونسبةً.

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨).

ولقد وضع الإمام الشاطبي - / - في «موافقاته»<sup>(١)</sup>  
بعض المقدمات نذكر بعضها:

المقدمة الأولى:

كليات الشريعة مدارها على الاستقراء العام المفيد  
للعلم.

المقدمة الثانية:

الشرع هو المعتمد، والعقل تابع له، ولذلك؛ فكل أصل  
شرعي لم يشهد له نص معين، وكان ملائماً لتصرفات الشرع،  
ومأخوذاً معناه من أدلته؛ فهو صحيح يبنى عليه، ويرجع إليه.

المقدمة الثالثة:

كل مسألة لا يبنى عليها عمل؛ فالخوض فيها خوض  
فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل: عمل  
القلب والجوارح من حيث هو مطلوب شرعاً.

والدليل على ذلك استقراء الشريعة؛ فإننا رأينا الشارع  
يعرض عما لا يفيد عملاً مكلفاً به.

(١) «الموافقات» (١/١٨-١٦٥) باختصار وتصرف.

## المقدمة الرابعة:

كل علم شرعي، فطلب الشرع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله -تعالى-، لا من جهة أخرى، فإن ظهر فيه اعتبار جهة أخرى فبالتبعية والقصد الثاني، لا بالقصد الأول.

## المقدمة الخامسة:

العلم المعتبر شرعاً - أي: الذي مدح الله ورسوله ﷺ أهله على الإطلاق - هو العلم الباعث على العمل، الذي لا يخلى صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان، بل هو مقيد صاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه طوعاً أو كرهاً.

## المقدمة السادسة:

صلب العلم هو المعتمد، وعليه مدار الطلب، وإليه تنتهي مقاصد الراسخين، والشريعة المباركة المحمدية منزلة على هذا الوجه، ولذلك كانت محفوظة في أحوالها وفروعها؛ لأنها ترجع إلى حفظ المقاصد التي يكون بها صلاح الدارين، ولذلك ينبغي معرفة صلب العلم وملحه والتفريق بينهما.

المقدمة السابعة:

إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية، فعليه يتقدم النقل فيكون متبوعاً، ويتأخر العقل فيكون تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل.

المقدمة الثامنة:

العلم هو ما اقتضته الأدلة الشرعية.

المقدمة التاسعة:

من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق أخذه عن أهله المتحققين على الكمال والتمام، وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات:

- ١- العمل بما علم حتى يكون قوله مطابقاً لفعله.
- ٢- أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم وملازمته لهم فهو الجدير بأن يتصف بما يتصفوا به من ذلك.

٣- الاقتداء بمن أخذ عنه، والتأدب بأدبه كما علمت

الصحابة الاقتداء بالنبي ﷺ.

٥- صلب العلم قبل ملحه.

ويمتاز صلب العلم عن ملحه بثلاث خصائص:

الأولى: هي العموم والاطراد.

الثانية: هي الثبوت في غير زوال.

الثالثة: كون العلم حاكماً لا محكوماً عليه، بمعنى

كونه مفيداً لعمل يترتب عليه مما يليق به، فلذلك انحصرت علوم الشريعة فيما يفيد العمل، أو يُصَوَّب نحوه، لا زائداً على ذلك.

«وقد يعرض لطلب العلم أن يعد من ملحه، ويتصور

ذلك في خلط بعض العلوم ببعض، كالفقيه يبني فقهه على

مسألة نحوية مثلاً؛ فيرجع إلى تقريرها مسألة - كما يقررها

النحوي - لا مقدمة مسلمة، ثم يرد مسألته الفقهية إليها،

والذي كان من شأنه أن يأتي بها على أنها مفروغ منها في علم

النحو فيبني عليها، فلما لم يفعل ذلك، وأخذ يتكلم فيها،

وفي تصحيحها، وضبطها، والاستدلال عليها، كما يفعله

النحوي؛ صار الإتيان بذلك فضلاً، غير محتاج إليه، وكذلك

إذا افتقر إلى مسألة عددية، فمن حقه أن يأتي بها مسلمة، ليفرع عليها في علمه، فإن أخذ يبسط القول فيها كما يفعله العددي في علم العدد، كان فضلاً معدوداً من الملح أن عد منها، وهكذا سائر العلوم التي يخدم بعضها بعضاً.

ويعرض - أيضاً - للقسم الأول أن يصير من الثالث، ويتصور ذلك فيمن يتجح بذكر المسائل العلمية لمن ليس من أهلها، أو ذكر كبار المسائل لمن لا يحتمل عقله إلا صغارها، على ضد التربية المشروعة، فمثل هذا يوقع في مصائب، ومن أجلها قال عليّ عليه السلام • :- «حدثوا الناس بما يفهمون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟»، وقد يصير ذلك فتنة على بعض السامعين.

وإذا عرض للقسم الأول أن يعد من الثالث، فأولى أن يعرض الثاني أن يعد من الثالث، لأنه أقرب إليه من الأول. فلا يصح للعالم في التربية العلمية إلا المحافظة على هذه المعاني، وإلا لم يكن مربياً، واحتاج هو إلى عالم يربيه<sup>(١)</sup>.

(١) «الموافقات» (١/١٢٣-١٢٤).

## ٦- التدرج.

لا بد من التدرج في التعليم، لأنه بِعَدَمِهِ يضيع العلم ويشتت الجهد. فالعاقل يصعد السلم درجة درجة، فإذا وصل كان بكامل قوته وَنَفْسِهِ، وتأمل تربية الله تعالى لعباده المؤمنين من السلف الصالح في العهد المكي، ثم الصعود بهم إلى العهد المدني.

واعلم أن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج.

قال ابن عبد البر: «طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف -رحمهم الله-، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل، ومن تعداه مجتهداً زل.

فأول العلم حفظ كتاب الله -عز وجل- وتفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول: إن حفظه كله فرض، ولكني أقول: إن ذلك شرط لازم على من أحب أن يكون عالماً فقيهاً ناصباً نفسه للعلم ليس من باب الفرض.

عن الضحاک في قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال: «حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً».

وقال مجاهد: «ربانيين فقهاء».

وقال سعيد بن جبیر وأبو رزین وقتادة: «علماء حكماء». قال أبو عمر: القرآن أصل العلم، فمن حفظه قبل بلوغه، ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب كان ذلك له عوناً كبيراً على مراده منه، ومن سنن رسول الله ﷺ، ثم ينظر في ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه، ويقف على اختلاف العلماء واتفاقهم في ذلك، وهو أمر قريب على من قرّبه الله - عز وجل - ثم ينظر في السنن الماثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ، فيها يصل الطالب إلى مراد الله - عز وجل - في كتابه، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً.

وفي سير رسول الله ﷺ تنبيه كثير على الناسخ والمنسوخ في السنن، ومن طلب السنن فليكن معوله على حديث الأئمة الثقات الحفاظ الذين جعلهم الله - عز وجل - خزائن لعلم دينه

وأمناء على سنن رسوله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وليس المراد: أن يعكف المتعلم على إتقان فن من فنون العلم بحيث يحيط بكل جوانبه ومسائله وفروعه، فإن العمر لا يتسع لذلك، بل إن العمر لا يكفي لاستجماع علم واحد بكل فنونه وأفنائه، ولكن المقصود أخذ قواعد كل فن، وأحسن ما فيه، وكلياته ومناهجه، حتى لا يضيع غيره ولذلك قيل في وصايا المتعلمين: «أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة، بل يراعي الترتيب، ويبدأ بالأهم، فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبًا، فالخزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه».

٧- المتفق قبل المفترق.

إن خوض الرباني في مسائل الخلاف والاختلاف ومقارنة المذاهب في تعليمه لتلاميذه يعد إضاعةً للوقت، وبعثرة للعقل، وتشتيتًا للأفكار، وإرباكًا لعملية التفكير، لأن المفروض في المبتدئ في طلب العلم أن يتعلم المسائل

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٢٩ - ١١٣٠).

وأدلتها من الوحين حيث أن عقله لا يتسع لمسائل الخلاف.  
وعلى هذا الأصل بنى السلف فقههم، وجبروا منهجهم،  
فالرباني يقتدي ولا يبتدي، ويتبع ولا يبتدع.

### ٨- التخصيص.

ومن المعاني الربانية في التعليم تخصيص قوم دون قوم  
بنوع من العلم، وذلك، لاختلاف العقول، وتفاوت المدارك،  
وكثرة التجارب والممارسات، مما قد يؤدي إلى الفهم  
الخاطئ أحياناً من قبل بعض المتعلمين عند استماعهم أو  
قراءتهم لعلم دونه مداركهم.

ولقد كان رسول الله ﷺ يخص فقهاء الصحابة بأمور  
معينة؛ كقوله لمعاذ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل  
الجنة»، قال: ألا أبشر الناس؟! قال: «لا، إني أخاف أن  
يتكلوا»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر - / - معلقاً على «باب من  
خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا». وقال

(١) أخرجه البخاري (١٢٩)، ومسلم (٩٣).

عليّ: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ﷺ؟!». .

قال: «... وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود: «ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم؛ إلا كان لبعضهم فتنة»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو منهج السلف في التعليم والتربية.

فقد كره أبو هريرة نشر أحاديث الفتن التي فيها تعيين أمراء الجور وولاية الغلمان!

وكره الحسن تحديث أنس للحجاج بقصة العرنين، لأنه جعلها وسيلة لسفك الدماء.

وكره مالك تحديث العامة بأحاديث الصفات.

وكره أبو يوسف الغرائب.

وكره أحمد بن حنبل نشر الأحاديث التي ظاهرها الخروج

على السلطان وأئمة الجور.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١/١١ - المقدمة)، وفيه: «ما أنت بمحدث!»

(٢) «فتح الباري» (١/٢٢٥).

وضابط هذا الباب: أن يكون ظاهر النص يقوي بدعة، وهو غير مراد؛ فالإمساك عنه عند من يخشى عليه بظاهره مطلوب شرعاً، ومرغوب طبعاً، ومحبوب قطعاً.

٩- البعد عن اللجاج.

يكره التزود والتكثر بما لا طائل بعده، والدخول في اللجاج والمراء والتعالم؛ فإن ذلك كله عوائق في طريق الطلب؛ وقد ورد النهي عن ذلك كله.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾

[البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥].

وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ

خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨].

عن أبي أمامة • - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ: ﴿مَا  
ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾<sup>(١)</sup>.

عن عائشة • - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن

أبغض الرجال إلى الله الألد<sup>(٢)</sup> الخصم<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

عن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم

الإسلام؟ قال: قلت: لا. قال: «يهدمه زلة عالم، وجدال

المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين»<sup>(٥)</sup>.

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وأحمد (٢٥٢ / ٥) -  
٢٥٦، والحاكم (٤٤٧ / ٢ - ٤٤٨).

قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي.

قلت: بل هو حسن، لأن أبا غالب صاحب أبي أمامة صدوق.

(٢) شديد الخصومة.

(٣) الحاذق بالخصومة.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

(٥) صحيح: أخرجه الدارمي (٧١ / ١)، والخطيب البغدادي في «الفتيه

والمتنقه» (١ / ٢٣٤)، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٧٥)، وأبو نعيم في =

عن أبي عثمان النهدي قال: إني لجالس تحت منبر عمر - وهو يخطب الناس - فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان»<sup>(١)</sup>.

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «المراء في القرآن كفر»<sup>(٢)</sup>.

= «الحلية» (٤/١٩٦) وغيرهم من طريقين عنه.

قلت: وهو صحيح.

(١) أخرجه أحمد (١/٢٢ و ٤٤)، وأبو يعلى (٩١ - المقصد العلي)، وعبد بن حميد (١١)، والفريابي في «صفة المنافق» (٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٤١) بإسناد صحيح. وروى موقوفاً على عمر، قال الدارقطني: «وهو أشبه بالصواب».

انظر: «مسند الفاروق» (٢/٦٦٠-٦٦١) لابن كثير.

وله شاهد من حديث عمران بن الحصين عند البزار (١٧٠)، وابن حبان (٨٠)، والفريابي في «صفة المنافق» (٢٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٦٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/١٩٨) من طريقين يقوي أحدهما الآخر.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٣)، وأحمد (٢/٢٨٦ و ٤٢٤ و ٤٧٥ و ٤٨٧ و ٤٩٤ و ٥٠٣ و ٥٢٨)، وابن حبان (١٤٦٤) وغيرهم.

عن عبد الله بن عمرو • - قال: هجرت<sup>(١)</sup> إلى رسول الله ﷺ يوماً. قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه الغضب فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»<sup>(٢)</sup>.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه»<sup>(٣)</sup>.

إن الآيات والأحاديث الواردة في الباب تبطل الجدل والخصومة، ومن تدبر آيات القرآن وأحاديث رسول الله وآثار السلف وجد فيها ما يدل على الحجاج والجدال فمن

= قلت: وهو صحيح.

(١) بكرت.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٨٥)، وأحمد (٢/١٨٥) و (١٩٥ - ١٩٦) والبخاري في

«شرح السنة» (١٢١) بإسناد حسن.

ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ  
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ  
أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وكتاب الله لا يتعارض، بل يصدق بعضه بعضاً،  
فبذلك علمنا: أن الجدل الذي ذمه القرآن غير الجدل الذي  
مدحه، وأن الجدل منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم،  
وكلا المقامين مذكور في كتاب الله؛ أما الجدل المذموم؛ ففي  
قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ  
سُلْطَنٍ أَتَنَّهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾  
[غافر: ٣٥].

فتبين أن الجدل المذموم هو الجدل بغير حجة، والجدل  
في الباطل، والمراء في كتاب الله ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.  
وأما الجدل المحمود؛ فمن النصيحة لله ولرسوله  
ولكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم، فهذا نوح عليه السلام  
أكثر جدال قومه حتى أقام عليهم الحجة وأوضح لهم

المحجة: ﴿يَنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾

[هود: ٣٢].

وعلى ذلك جرت سنة رسول الله ﷺ وسيرة السلف الأول • • -، وبذلك يتضح أن الجدل المحمود هو نصره الحق وطلبه، وإظهار الباطل وبيان فساد، وأن الجدل المذموم هو اللدد في الخصومة، والمراء في المناظرة؛ لنصرة الباطل، ودحض الحق.

قال ابن حبان (٣٢٦/٤): «إذا ماري المراء في القرآن أداه ذلك - إن لم يعصمه الله - إلى أن يرتاب في الآي المتشابه منه، وإذا ارتاب في بعضه أداه ذلك إلى الجحد، فأطلق رسول الله ﷺ اسم الكفر - الذي هو الجحد - على بداية سببه - الذي هو المراء -».

ولذلك ينبغي على العبد أن يؤمن بمحكم القرآن ومتشابهه؛ لأنه كل من عند الله، وما جهله من ذلك سأل أهل الذكر وردّه إلى عالمه، ولا يجوز له أن يسأل من لا يعلم.

الاختلاف في الكتاب يؤدي إلى ضرب بعضه ببعض،  
ومن ثم إلى التفلت من أحكامه، وتحريف حلاله وحرامه،  
فيجري على المتخلفين سنن الله في الماضيين من الاستبدال  
والاستئصال.

### ١٠ - استعمال الأساليب الجميلة.

لأن الكلمة اللطيفة اللينة لها وقع في الأذن وإيقاع في  
القلب، ينشرح لها الصدر، وينفتح لها العقل.

وتأمل - يا رعاك الله - قول الله تعالى - وهو يربي  
موسى - عليه السلام - ويعلمه عند ذهابه لفرعون:  
﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾  
[طه: ٤٤].

ولقد بوب الإمام البخاري<sup>(١)</sup> في «كتاب الأدب» باب لا  
يقول: «خبث نفسي»، ثم روى<sup>(٢)</sup> بسنده الصحيح عن  
رسول الله ﷺ قال: «لا تقولن أحدكم: خبث نفسي، ولكن

(١) (١٠/٥٦٣ - فتح)

(٢) (٦١٧٩)، وهو عند مسلم - أيضاً - (٢٢٥٠).

ليقل: لَقِست نفسي» قال الحافظ ابن حجر معلقاً على هذا الحديث<sup>(١)</sup>: «ويؤخذ من الحديث استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة والأسماء، والعدول إلى ما لا قبح فيه، والخبث واللقس وإن كان المعنى المراد يتأتى بكل منهما؛ لكن لفظ الخبث قبيح، ويجمع أموراً زائدة على المراد، بخلاف اللقس؛ فإنه يختص بامتلاء المعدة. قال: وفيه أن المرء يطلب الخير حتى بالفأل الحسن، ويضيف الخير إلى نفسه... ويدفع الشر عن نفسه مهما أمكن، ويقطع الوصلة بينه وبين أهل الشر حتى في الألفاظ المشتركة».

### ١١ - المزج بالرقائق والقصص.

وهذا هو أسلوب القرآن في ذكر الأحكام الفقهية، يدخل فيها التهديد والموعظة، والترهيب والترغيب، وخذ على ذلك مثلاً:

فقد ختم الله آيات تحريم الربا بقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا

(١) «فتح الباري» (١٠/٥٦٤)، وانظر - غير مأمور - «تحفة المودود» (ص ٩٠-٩٧ - بتحقيقي).

تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ  
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].

وبعدما ذكر حرمة الغلول في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ  
يَعْلَىٰ وَمَنْ يَعْزِلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: ﴿ثُمَّ  
تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ومزج العلم بالرقائق يحقق الطمأنينة، ويبعث السكينة،  
فلا يسيطر العقل وحده على القلب، والفكر على الروح،  
فتتحول المعاني السامية إلى فلسفة جافة، وتضيع المقاصد  
العالية للتعليم والتربية، إذ إن أصل المقاصد في التعليم  
والتربية ربط المخلوق بربه وتذكيره بالآخرة، وجعله يجتهد  
في العبادة والعمل.

إن الاشتغال بالعلم النظري لا ينمي في القلب طاعة الله،  
والخوف من عقابه وغضبه، إلا إذا مزج بالموعظة الحسنة التي  
تلين القلب، وتربط بين العلم وطهارة القلب ولينه.

والقصص الحق يعطي واقعية لما يقوله الرباني، فقد

كان رسول الله ﷺ يسرد أحسن القصص للتربية والتعليم،  
والقرآن ملئ بهذا النوع؛ إذ النفس تحب دائماً أن ترى  
بعينها عاقبة سوء الآخرين لتفر من سبيلهم أو نجاتهم  
لتقتدي بهم.

### ثانياً: ربانية الجواب:

الرباني معلم الناس الخير تتكاثر عليه الأسئلة، ويزدحم  
ببابه المستفتون.

ولهذا فقد عظم الإسلام شأن الفتوى، وتسئم المفتون  
بها المقام الأعلى، ونالوا القدح الأسنى، وكان لهم الذكر  
الأسمى في العالمين، وصاروا ورثة النبيين.

فأثبت لهم خصيصة فاقوا بها سائر الأمة، وما هم  
بصدده من أمر الفتوى يوضح تحققهم بذلك للمستوضح،  
ولذلك قيل في الفتيا: إنها توقيع عن الله تبارك وتعالى<sup>(١)</sup>.

(١) «أدب المفتي والمستفتي»، ابن الصلاح (ص ٧٢).

وإليك آداباً وصفات من الواجب توافرها حين الرد على

الفتوى:

١- يجب على المفتي حيث يجب عليه الجواب: أن يبينه

بياناً مزيحاً للإشكال.

٢- إذا كانت المسألة فيها تفصيل لم يطلق الجواب، فإنه

خطأ، ثم له أن يستفصل السائل إن حضر، وله أن يقتصر

على جواب أحد الأقسام إذا علم أنه الواقع للسائل، ولكن

يقول: هذا إذا كان كذا وكذا، وله أن يفصل الأقسام في

جوابه، ويذكر حكم كل قسم. ونحن نكرهه؛ لأنه يفتح

للخصوم باب التمحل والاحتيال الباطل، ولأن ازدحام

الأقسام بأحكامها على فهم العامي يكاد يضيعه.

٣- إذا كان المستفتي بعيد الفهم، فينبغي للمفتي أن

يكون رفيقاً به، صبوراً عليه، حسن التأيي في التفهم منه،

والتفهم له، حسن الإقبال عليه، لا سيما إذا كان ضعيف

الحال، محتسباً أجر ذلك؛ فإنه جزيل.

٤- قال الماوردي: «على المفتي أن يختصر جوابه،

فيكتفي فيه: بأنه يجوز، أو لا يجوز، أو حق أو باطل».

قال ابن الصلاح: الاقتصار على لا أو نعم لا يليق بفهم العامة، وإنما يحسن بالمفتي الاختصار الذي لا يخل بالبيان المشروط عليه دون ما يخل به، فلا يدع إطالة لا يحصل البيان بدونها.

٥- ليس بمنكر أن يذكر في فتواه الحجة إذا كانت نصاً واضحاً مختصراً.

٦- ليحذر أن يميل في فتياه مع المستفتي أو مع خصمه، ووجوه الميل كثيرة لا تحصى، ومنها: أن يكتب في جوابه ما هو له، ويسكت عما هو عليه.

٧- ليس له إذا استفتي في شيء من مسائل الكلام أن يفتي بالتفصيل، بل يمنع مستفتيه وسائر العوام من الخوض في ذلك أصلاً، ويأمرهم بأن يقتصروا فيها على الإيمان بما جاء في الشرع المبين<sup>(١)</sup>.

٨- لا يجب على المفتي الجواب على المسائل قبل

(١) «أدب المفتي والمستفتي» (ص ١٣٤-١٥٧) باختصار وتصرف.

وقوعها، بل كره السلف ذلك، وشددوا في التحذير منه،  
والنكير على أصحابه.

٩- يجوز للمفتي أن يعدل عن جواب المستفتي عما  
سأله عنه إلى ما هو أنفع له منه، ولا سيما إذا تضمن ذلك  
بيان ما سأله عنه، وذلك من كمال علمه وفقهه ونصحه.

١٠- يجوز للمفتي أن يجيب السائل بأكثر مما سأل  
عنه، وهذا من كمال إرشاده.

١١- من فقه المفتي وكمال نصحه إذا سأله المستفتي عن  
شيء؛ فمنعه منه، وكانت له حاجة تدعوه إليه، أن يدلّه على ما  
هو عوض له منه، فيسد عليه باب المحذور، ويفتح له باب المباح.  
وهذا لا يتأتى إلا لعالم ناصح مشفق، قد تاجر الله  
وعامله بعلمه، وهذا شأن ورثة الرسل.

١٢- إذا أفتى المفتي السائل بشيء ينبغي أن ينبهه على  
وجه الاحتراز مما قد يذهب إليه الوهم منه خلاف  
الصواب، وهذا باب لطيف من أبواب العلم والنصح  
والإرشاد.

١٣- ينبغي للمفتي أن يذكر الدليل ومأخذه ما أمكنه،  
ومن تأمل فتاوى الرسول ﷺ وجدها كذلك، وورثته من  
بعده كذلك.

١٤- ينبغي للمفتي أن يمهد للحكم المستغرب بما  
تألفه النفوس ويعزز قبوله.

١٥- على المفتي أن يحافظ على لفظ نصوص الوحيين  
ما أمكنه، ففيه البيان التام، والدليل الواضح، والجواب  
الصواب.

١٦- لا يجوز للمفتي أن يشهد على الله ورسوله بأنه  
أحل كذا أو حرمه أو كرهه إلا إذا جزم أن الأمر كذلك.

١٧- ليحذر المفتي الذي يخاف مقام ربه ومقامه بين  
يدي مولاه أن يفتي السائل بمذهبه الذي يقلده، وهو يعلم  
أن الحق مع غيره، والصواب في مذهب آخر أرجح وأصح.

١٨- لا يجوز للمفتي الترويح وتخيير السائل وإلقاؤه في  
الإشكال والحيرة.

١٩- لا يجوز للمفتي تتبع الحيل المحرمة والمكروهة،

ولا تتبع الرخص لمن أراد نفعه، فإن ذلك فسق.

٢٠- ينبغي على المفتي أن يخرج فتواه بلفظ حسن ونصح وإرشاد وشفقة وتربية.

٢١- يحرم على المفتي أن يفتي بصد النص من الكتاب والسنة وإن وافق مذهبه، ولا إخراج النصوص عن ظاهرها لتوافقه<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: ربانية التربية<sup>(٢)</sup>:

الأسس العامة للتربية الربانية.

١- ربانية الغاية والوسيلة.

قال -تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّنِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

٢- ليس لها وسائل خاصة بها عن مجموع شعائر الإسلام.

(١) «إعلام الموقعين» (٦/ ٤٠ - وما بعدها) باختصار وتصرف.

(٢) وانظر - غير مأمور - كتابي: «منهج الأنبياء في ترقية النفوس».

لما كان مقرراً في أصول المنهج الرباني بفهم سلف الأمة الصالح: أن الذي شرع الغاية لم ينس الوسيلة، لذلك؛ فالتربية الربانية ليس لها أعمال خاصة بها، أو طقوس تتعلق بصفاتها دون شعائر الإسلام.

إن الطريق المؤدي إلى التربية الربانية والتزكية الإيمانية هي العبادة، وهي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قال -تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[البقرة: ٢١].

٣- موافقتها للفطرة البشرية.

قال -تعالى-: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»<sup>(١)</sup>

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) -واللفظ للبخاري-

ولذلك؛ فالتربية الربانية تقوم على استعداد النفس البشرية للترويض والتربية، ولذلك أقسم الله على هذا الأساس المتين من فاتحة سورة الشمس إلى قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۗ ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠]، ومن ثم تقوم التربية الربانية على المحافظة على فطرة الإنسان ورعايتها، ومن ذلك الأمر بخصال الفطرة العشر، وتحريم تغيير خلق الله؛ لأن ذلك إفساد للفطرة، ومن ثم تنمية مواهب الإنسان واستعداداته كلها، ثم توجيه ذلك كله نحو كما لها المهيا لها.

٤ - تقديم تصورات واضحة عن الله والكون والحياة.

وهذا الأساس يقوم على ركنين هامين:

الأول: عرض هذه التصورات عرضاً مقنعاً.

الآخر: ربط هذه التصورات بحركة الإنسان، وتحويلها

إلى قوة دافعة، لتحقيق مقتضيات خلافة الإنسان في الأرض

على منهاج الله الذي بيّنه رسول الله ﷺ.

## ضوابط التربية الربانية

١- توحيد مصدر التلقي.

لأن ذلك عصمة من الضلال؛ وأمان من الزيغ؛ كما قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكن بهما: كتاب الله، وستي»<sup>(١)</sup>.

٢- تصفية مصدر التلقي مما شابه؛ فعكر روائه، وخالطه؛ فشوه جماله.

٣- التلقي للتنفيذ والتطبيق؛ كما قال -تعالى-:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾  
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[الصف: ٢-٣].

قال عبد الله بن مسعود • :- «كان الرجل منا إذا تعلم

عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح بشواهده؛ كما بيته في كتابي: «مجمع البحرين في تخريج أحاديث الوحيين».

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١ / ٧٤) بإسناد صحيح.

ولله در القائل:

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

٤- أن يكون المربي عالماً ربانياً؛ كما قال -تعالى-:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال -تعالى-: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ينتزعه

من العباد؛ ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً؛ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً؛ فسئلوا، فأفتوا بغير علم؛ فضلوا، وأضلوا»<sup>(١)</sup>.

٥- التدرج في التربية؛ كما قال -تعالى-: ﴿وَلَكِنْ

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

كُونُوا رَبَّنِيَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلَكِتَابِ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

فسر ابن عباس ٢ • - ذلك بقوله: «حكماء علماء»<sup>(١)</sup>، والحكمة والعلم يقتضيان وضع الشيء في موضعه؛ ولذلك قال البخاري في «صحيحه» (كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل) ويقال: «الرباني: الذي يربي الناس على صغار العلم قبل كباره»<sup>(٢)</sup>.

٦- ربط المربي بالله ورسوله، وليس بالأشخاص أو الأشياخ أو الأحزاب أو اليافطات أو الشعارات؛ ليكون تلقي خطاب الشرع سليماً؛ فيثمر عملاً مستقيماً؛ ليعظم الرب - تبارك وتعالى - ويتبع النبي الأمي ﷺ.

ولذلك نعى الله - سبحانه وتعالى - على الذين أفسدوا هذا الضابط بقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

(١) مضي تخريجه (ص ١٣).

(٢) مضي تخريجه (ص ٨).

لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣١].

٧- تعاهد الربى ومتابعته وتقويم سلوكه؛ كما في سورة

العصر: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

ومما يدل على ضرورة التربية؛ قوله -تعالى- مبيِّنا

وظيفة رسول الله ﷺ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

ءَايَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢].

رابعاً: ربانية الدعوة إلى الله.

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنِ قَوْلِهِمُ الْأَثْمَ وَالْعُدْوَانَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ [المائدة: ٦٢-٦٣].

وقد ارتبطت الربانية بالدعوة إلى الله من وجوه، منها:

- ١- أن الربانيين يعلمون الناس الخير، ومعلمو الناس الخير دعاة إلى الله على بصيرة.
  - ٢- الربانيون ينهون عن المنكر، والأمرون بالمعروف الناهون عن المنكر دعاة إلى الله - عز وجل -.
- وقد ذكر الإمام النووي أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنوردها، لوضوحها وشمولها:

١ - فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

«واعلم أن هذا الباب؛ أعني: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًا.

وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عمَّ العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله - تعالى - بعقابه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله - عز وجل - أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته، ولا يهادن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]،

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[العنكبوت: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا  
ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾

[العنكبوت: ٢-٣].

واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتركه لصداقته  
ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه؛  
فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً، ومن حقه: أن  
ينصح له ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها،  
وصديق الإنسان ومجبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن  
أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو  
نقص آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه،  
وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا وكانت الأنبياء -صلوات  
الله وسلامه عليهم أجمعين- أولياء للمؤمنين لسعيهم في  
مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها.

ونسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين  
لمرضاته، وأن يعمنا بجوده ورحمته، والله أعلم.

٢- حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وأما قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن  
لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف  
الإيمان»<sup>(١)</sup>.

فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق على وجوب  
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع  
الأمة، وهو -أيضاً- من النصيحة التي هي الدين، ولم  
يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم؛ كما  
قال إمام الحرمين: «لا يكثر بخلافهم في هذا، فقد أجمع  
المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء».

ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة، وأما قول  
الله -عز وجل-: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ  
لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]،

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

فليس مخالفاً لما ذكرناه؛ لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به؛ فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]، وإذا كان كذلك فمهما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعله ولم يمثّل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل، لكونه أدى ما عليه، فإنما عليه الأمر والنهي لا القبول، والله أعلم.

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف.

ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف.

قال العلماء • • - : ولا يسقط عن المكلف الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

وقد قدمنا أن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول،  
وكما قال الله - عز وجل - : ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾  
[المائدة: ٩٩].

ومثل العلماء هذا بمن يرى إنساناً في الحمام أو غيره  
مكشوف بعض العورة ونحو ذلك، والله أعلم.

٣- شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أ- لا يشترط في الأمر والنهي أن يكون كامل الحال  
متمثلاً ما يأمر به، مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن  
كان مخلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى  
عنه؛ فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها.

ويأمر غيره وينهاها، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له  
الإخلال بالآخر؟!!

ب- لا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لأحد المسلمين - إلا إذا  
ترتب على هذا الأمر والنهي منكر أكبر فلا يجوز حينئذ -  
والدليل عليه إجماع المسلمين.

ت- ثم إنه إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء؛ فإن كان من الواجبات الظاهرة، والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء.

ث- ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه أما المختلف فيه، فلا إنكار فيه؛ لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف، فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع في خلاف آخر. ولا ينكر محتسب ولا غيره على غيره في المسائل الخلافية. ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم - رضي الله عنهم أجمعين -.

وكذلك قالوا: ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً، والله أعلم.

ج- وينبغي للأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق؛ ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعي • • - : «من وعظ أخاه سرًّا؛ فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية؛ فقد فضحه وشانه».

ومما يتساهل أكثر الناس فيه من هذا الباب ما إذا رأى إنسانًا يبيع متاعًا معيبًا أو نحوه، فإنهم لا ينكرون ذلك، ولا يعرفون المشتري بعيبه، وهذا خطأ ظاهر.

وقد نص العلماء: على أنه يجب على من علم ذلك أن ينكر على البائع، وأن يعلم المشتري به، والله أعلم.

#### ٤ - صفة النهي ومراتبه:

أ- قال النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح: «فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»، فقوله ﷺ: «فبقلبه» معناه: فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر، ولكنه هو الذي في وسعه.

وقوله ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان» معناه - والله أعلم - أقله ثمرة.

قال القاضي عياض - / - :- هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل، ويريق المسكر بنفسه أو يأمر من يفعله، وينزع الغصوب، ويردها إلى أصحابها بنفسه، أو بأمره إذا أمكنه، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل وبذي العزة الظالم المخوف شره؛ إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله.

ب- كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى، ويغلظ على المتماذي في غيه، والمسرف في بطالته؛ إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكرًا أشد مما غيرَه لكون جانبه محميًا عن سطوة الظالم، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرًا أشد منه من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده، واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه، وكان في سعة، وهذا هو المراد بالحديث - إن شاء الله تعالى، وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يؤد ذلك

إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه. هذا هو فقه المسألة وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين، خلافاً لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال وإن قتل ونيل منه كل أذى. هذا آخر كلام القاضي - / - .

قال إمام الحرمين - / - : ويسوغ لأحد الرعية أن يصد مرتكب الكبيرة، وإن لم يندفع عنها بقوله ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال وشهر سلاح، فإن انتهى الأمر إلى ذلك ربط الأمر بالسلطان.

قال: وإذا جار والي الوقت، وظهر ظلمه وغشمه، ولم ينزجر حين زجر عن سوء صنيعه بالقول، فلاهل الحل والعقد التواطؤ على خلعه ولو بشهر الأسلحة ونصب الحروب. هذا كلام إمام الحرمين.

وهذا الذي ذكره من خلعه غريب، ومع هذا فهو محمول على ما إذا لم يخف منه إثارة مفسدة منه<sup>(١)</sup>.

(١) بل إجماع السلف على عدم الخروج على ولاية الجور، والله أعلم. =

ت- قال: وليس للأمر بالمعروف بالبحث والتنقير والتجسس واقتحام الدور بالظنون، بل إن عثر على منكر غيره جهده. هذا كلام إمام الحرمين.

وقال أفضى القضاة الماوردي: ليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات، فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لأمانة وآثار ظهرت، فذلك ضربان: أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقته، أو بامرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسس، ويقدم على الكشف والبحث حذرًا من فوات ما لا يستدرك، وكذا لو عرف ذلك غير المحتسب من المتطوعة جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار.

الضرب الثاني: ما قصر عن هذه الرتبة، فلا يجوز التجسس عليه، ولا كشف الأستار عنه، فإن سمع أصوات

= ولذلك فقد أحسن النووي - / - بتعقبه لأبي المعالي وتقييده لفتواه، فالحق في صدور العلماء أعلى من المشايخ وأعلى من المذهب.

الملاهي المنكرة من دار أنكرها خارج الدار لم يهجم عليها بالدخول، لأن المنكر ظاهر، وليس عليه أن يكشف عن الباطن»<sup>(١)</sup>.

### خامساً: ربانية المصدر والمنهج.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

الرباني يسوس الناس بمنهج الله وبحكمه، ولا يكتفي بهذا؛ لأن الله جعله من الذين يحفظون كتاب الله بين الناس؛ ليبينوا به الحقائق، ثم يجعل من صفاتهم أنهم لا يخافون في الله لومة لائم، فلو خاف الناس ثم خاف الربانيون، فمتى سيظهر الحق؟ ومن سينصر دين الله؟

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/٢٢-٢٦).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: «وقوله: ﴿وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾؛ أي: وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من الربانيين؛ أي: العلماء العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين.

والأحبار؛ أي: العلماء الكبار الذين يقتدى بأقوالهم، وترمق آثارهم، ولهم لسان الصدق بين أممهم. وذلك الحكم الصادر منهم الموافق للحق ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾؛ أي: بسبب أن الله استحفظهم على كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه.

وهم شهداء عليه، بحيث أنهم المرجوع إليهم فيه، وفيما اشتبه على الناس منه، فالله -تعالى- قد حمل أهل العلم، ما لم يحمله الجهال، فيجب عليهم القيام بأعباء ما

حملوا وأن لا يقتدوا بالجهال، بالإخلاد إلى البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا على مجرد العبادات القاصرة، من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا ونجوا.

وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلموا الناس وينبهوهم على ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصاً الأمور الأصولية والتي يكثر وقوعها، وأن لا يخشون الناس بل يخشون ربهم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فتكتمون الحق، وتظهرون الباطل، لأجل متاع الدنيا القليل، وهذه الآفات إذا سلم منها العالم فهو من توفيقه وسعادته بأن يكون همه الاجتهاد في العلم والتعليم، ويعلم أن الله قد استحفظه ما أودعه من العلم واستشده عليه، وأن يكون خائفاً من ربه، ولا يمنعه خوف الناس وخشيتهم من القيام بما هو لازم له،

وأن لا يؤثر الدنيا على الدين.

كما أن علامة شقاوة العالم أن يكون مخلدًا للبطالة، غير قائم بما أمر به، ولا مبال بما استحفظ عليه، قد أهمله وأضاعه، قد باع الدين بالدنيا، قد ارتشى في أحكامه، وأخذ المال على فتاويه، ولم يعلم عباد الله إلا بأجرة وجعالة.

فهذا قد منَّ الله عليه بمنة عظيمة، كفرها ودفع حظًا جسيمًا، محرومًا منه غيره، فنسألك اللهم علمًا نافعًا، وعملاً متقبلًا، وأن ترزقنا العفو والعافية من كل بلاء يا كريم»<sup>(١)</sup>.

المصدر والمنهج: ونعني به: أن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه، منهج رباني خالص؛ لأن مصدره وحي الله - تعالى - إلى خاتم رسله محمد ﷺ.

لم يأت هذا المنهج نتيجة لإرادة فرد، أو إرادة أسرة، أو إرادة طبقة، أو إرادة حزب، أو إرادة شعب، أو إرادة حاكم وإنما جاء نتيجة لإرادة الله، الذي أراد به الهدى والنور،

(١) «تفسير السعدي» (ص ٢٣٢-٢٣٣).

والبيان والبشرى، والشفاء والرحمة لعباده؛ كما قال تعالى:  
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا  
 إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ  
 قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ  
 وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

فالله - تعالى - هو مؤسس هذا المنهج، ولهذا يُضاف إليه  
 فيقال: منهج الله، أو صراط الله، وإضافته إلى الله تعني أن  
 الله - جل شأنه - هو واضعه ومحدده، كما أنه غايته ومنتهاه.  
 أما الرسول ﷺ فهو الداعي إلى هذا المنهج أو هذا  
 الصراط، المبيِّن للناس ما اشتبه عليهم من أمره.

قال الله - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا  
 مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن  
 جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ  
 لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا  
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ  
 ﴿٥٣﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

إن الإسلام هو المنهج الوحيد في العالم، الذي مصدره كلمات الله وحدها، غير محرفة ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر، وأغلاطهم وانحرافاتهم.

والمناهج التي نراها في العالم إلى اليوم ثلاثة:

١- نظام مدني بشري محض، مصدره: التفكير العقلي، أو الفلسفي لبشر فرد، أو مجموعة من الأفراد، كالشيوعية، والرأسمالية، والوجودية.

٢- نظام ديني بشري مثل الديانة البوذية والتي لا يعرف لها أصل إلهي، أو كتاب سماوي، فمصدرها إذن فكر بشري.

٣- منهج ديني محرف، فهو - وإن كان إلهياً في أصله - عملت فيه يد التحريف والتبديل، فأدخلت فيه ما ليس منه، وحذفت منه ما هو فيه، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر، فلم يبق ثمة ثقة بربانية مصدره، وذلك كاليهودية والنصرانية، بعد ثبوت التحريف في التوراة والإنجيل نفسيهما، فضلاً عما أضيف إليهما من شروح وتأويلات

ومعلومات بشرية، بدلت المراد من كلام الله، وأبطلت منهج الله فيهما.

أما الإسلام؛ فهو المنهج الفذ الذي سلم مصدره من تدخل البشر، وتحريف البشر، ذلك أن الله -تعالى- تولى حفظ كتابه بنفسه، وهو القرآن المجيد، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

إن الإسلام منهج رباني: عقائده وعباداته، وآدابه وأخلاقه، وشرائعه ونظمه، كلها ربانية إلهية، في أسسها الكلية، ومبادئها العامة، ودونك ميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم:

### ١ - عقيدة ربانية:

عقائد الإسلام ربانية، مصدرها كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من القرآن الكريم الذي أرسى دعائمها، وأوضح معالمها، ومن صحيح السنة المبيّنة للقرآن.

ليست هذه العقائد من وضع مجمع من الجامع، ولا

من إضافة هيئة من الهيئات، ولا من إملاء أحد من العالمين.  
 ليس لأحد من أصحاب محمد ﷺ ولا من أئمة الإسلام  
 وفقهائه الكبار: أن يغير ويبدل في عقيدة الإسلام بالزيادة أو  
 النقص أو التحوير؛ كما فعل «سانت بولس» في العقيدة  
 النصرانية، حتى إن بعض الكتاب الغربيين المحدثين يسمون  
 النصرانية الحاضرة: «مسيحية بولس».

## ٢- عبادات ربانية:

والعبادات الإسلامية التي نتقرب بها إلى الله - تعالى -

## عبادات ربانية:

فالوحي الإلهي هو الذي رسم صورها، وحدد أشكالها،  
 وأركانها، وشروطها، وعين زمانها فيما يشترط فيه  
 الزمان، ومكانها فيما يشترط فيه المكان.

ولم يقبل من أحد من الناس - مهما كان مجتهدًا في  
 الدين، ومهما علا كعبه في العلم والتقوى - أن يبتكر  
 صورًا وهيئات من عنده للتقرب إلى الله تعالى، فإن هذا  
 افتئات على الحق واستدراك على الله - تعالى - الذي له

الخلق والأمر.

ومن فعل شيئاً من ذلك؛ فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله، وعُدَّ عمله بدعة وضلالة، ورُدَّ عليه عمله؛ كما يرد الصيرفي النقاد العملة الزائفة.

فقد جاء الإسلام في مجال العبادة بأصلين كبيرين، لا يتساهل في واحد منها قدر شعيرة:

الأول: ألا يعبد إلا الله؛ فلا عبادة لأحد سواه، ولا لشيء سواه، كائناً من كان، وما كان وهذا ما تقتضيه ربانية الغاية والوجهة.

والثاني: ألا يعبد الله إلا بما شرعه، وما شرعه إنما يعرف بواسطة رسله المبلغين عنه، وخاتمهم محمد ﷺ، الذي نسخ شرعه كل شرع قبله، والذي كتب الله له الخلود، وتكفل بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وما عدا ذلك؛ فهو أهواء مريضة وبدع مرفوضة، وإن دفع إليها حسن النية، وشدة الرغبة في زيادة التقرب إلى الله - جل شأنه -، ولكن النية الصالحة وحدها لا تعطي العمل

صفة القبول ما لم تكن صورته مشروعة بالنص الثابت، وهذا ما تقتضيه ربانية المنهج والمصدر.

فالعامل المقبول له ركنان:

أن يكون خالصاً لله.

وأن يكون على سنة رسول الله.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

٣- أخلاق ربانية:

والأخلاق الإسلامية ربانية: لأن الوحي الإلهي هو

الذي وضع أصولها، وحدد أساسياتها، التي لا بد منها لبيان

معالم الشخصية الإسلامية، حتى تبدو متكاملة متماسكة

متميزة في مخبرها ومظهرها، عالمة بوجهتها وطريقتها، إذا

التبست على غيرها المسالك، واختلطت الدروب.

والقرآن الكريم ذاته يرسم المعالم الرئيسية لأدب المسلم،

وخلق المسلم، من الإحسان بالوالدين، وخاصة إذا بلغا

الكبر أو أحدهما، والإحسان بذوي القربى، ورعاية اليتيم،

وإكرام الجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب الجنب، وابن السبيل، والعناية بالفقراء والمساكين، وتحرير الرقاب، والصدق في القول، والإخلاص في العمل، وغض الأبصار وحفظ الفروج، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتواصي بالمرحمة، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بين الناس بالعدل، والوفاء بالعهد، وترك المنكرات، واجتناب الموبقات من الشرك، والسحر، والقتل، والزنى، والسكر، والربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات المؤمنات، والتولي يوم الزحف، وغيرها من كبائر الإثم وفواحشه، إلى غير ذلك من الأخلاق الإيجابية والسلبية، الفردية والاجتماعية.

وبيّن هذا كله أحسن بيان، وأتمه فوصل إلى كمال الإيمان رسول الله ﷺ القائل: «إنما بعثت؛ لأتمم صالح - وفي لفظ: مكارم - الأخلاق»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح بشواهده - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص ٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٨١)، والحاكم (٢/ ٦١٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢)، =

## ٤- تشريعات ربانية:

والتشريعات الإسلامية لضبط الحياة الفردية والأسرية، والاجتماعية والدولية، تشريعات ربانية: أراد الله أن ينظم بها سير القافلة البشرية، ويقيم العلاقات بين أفرادها وجماعاتها على أمتن القواعد، وأعدل المبادئ، بعيداً عن قصور البشر وتطرفهم وأهوائهم، وتناقضهم، وتطرفات البشر، وأهواء البشر، وتناقضات البشر.

وكانت هذه هي المزية الأولى للتشريع الإسلامي على ما سواه من التشريعات قديمها وحديثها، شرقها وغربها، ليبرالها، واشتراكيها، فهو التشريع العظيم العليم في العالم الذي أساسه وحي الله وكلماته المعصومة من

---

= والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٦٥)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق ومعاليها» (ص ٢)، بإسناد حسن من حديث أبي هريرة -•- .  
وللحديث شاهد: أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/٩٠٤) بلاغاً -ومن طريق ابن سعد في «الطبقات» (١/١٩٣).

وله شاهد مرسل من حديث زيد بن أسلم، وشاهد آخر من حديث جابر بن عبد الله وفيه ضعف؛ فالحديث صحيح بمجموع ذلك كله.

الخطأ، المنزهة عن الظلم: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وبهذا تقرر في الأصول الإسلامية أن الشارع الحكيم هو الله . فهو الذي يأمر وينهى، ويحلل ويحرم، ويكلف ويلزم، بمقتضى ربوبيته وألوهيته ومملكه لخلقه جميعًا، فهو ﴿رَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣] له الخلق والأمر، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وله الملك والحكم: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]. وليس لأحد غيره حق التشريع، إلا ما أذن الله فيه مما ليس فيه نص ملزم، فهو في الحقيقة مجتهد أو مستنبط أو مقنن، وليس مشرعًا أو حاكمًا، حتى الرسول ﷺ نفسه ليس مشرعًا، وإنما وجبت طاعته؛ لأنه مبلغ عن الله، فأمره من أمر الله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقد دمع القرآن بالشرك الذين أعطوا سلطة التشريع  
لبعض البشر من رجال الأديان الذين بدلوا كلمات الله،  
وغيروا شرع الله، فأحلوا ما حرم الله، وحرّموا ما أحل  
الله، افتراء على الله.

﴿آتَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ  
اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وكذلك ذم كل من لم يحكم بالشرع المنزل.  
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].  
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].  
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] <sup>(١)</sup>.

(١) انظر - لزماً - كتابي: «قرة العيون بتصحيح تفسير ابن عباس لقوله  
تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ  
الظَّالِمُونَ﴾».

وهذه الخاصة؛ أعني: ربانية المنهج والمصدر لا تتحقق على وجه الكمال والتمام إلا في منهج السلف الكرام؛ لأن كل منهج غير منهج السلف تجد مصادره إما من كلام اليونان، وإما من كلام ما يسمون بالحكماء القدماء، وإما من كلام دعاة البدعة والضلالة، أو من كلام الحركيين الحزبيين، إلا هذا المنهج؛ فإنه نقي صاف ليس فيه عن أحد ولا عن بشر إلا الفهم الذي يفهمه بعض العلماء من نصوص الوحي، فمصدرها هو الوحي.

فكما أن الإسلام هو الدين الرباني الوحيد في الأرض الذي مصدره الوحي، ولكن يجتهد العلماء في التفريعات في بعض الفروع العملية؛ ليطبقوها على ضوء الأصول المنزلة، فكذلك منهج السلف هو بأصوله العامة، منهج رباني مصدره الوحي؛ لكن تجد بعض المسائل يجتهد فيها من خلال هذه الأصول التي هي ربانية المصدر.

ولهذا قيل: إن أهل السنة في أهل الإسلام مثل أهل الإسلام في سائر الملل؛ فالمنهج السلفي هو: كتاب الله وسنة

رسوله ﷺ كما فهمه الجيل الأول من الصحابة الأبرار،  
والتابعين الأخيار، ومن تبعهم بإحسان، فهو يعبر عن  
حقيقة الإسلام، فكل ميزة من ميزات الإسلام الصحيح؛  
فهي من ميزات المنهج السلفي.



مكتب عثمان بن عفان  
للصف التصويري والإعداد الفني  
جوال: ٠٠٢٠١٢٦٣١١٤٤٨

## الفهارس

وتشمل:

- ١- فهرست الآيات القرآنية.
- ٢- فهرست الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرست الآثار.
- ٤- فهرست الموضوعات.

## فهرست الآيات القرآنية

## فهرست الآيات القرآنية

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٣﴾ ، ٦ ، ٩ ، ١٢ ،

١٣ ، ٣١ ، ٤٩ ، ٥٣

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ..... ﴾ ..... ٦ ، ٥٣ ، ٦٧

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ ..... ﴾ ..... ٧ ، ٩ ، ٥٣ ، ٥٦

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ ..... ١٥

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ..... ﴾ ..... ١٥

﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ ..... ١٥

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ ..... ﴾ ..... ١٦ ، ٧٩

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ..... ﴾ ..... ٢١

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ..... ﴾ ..... ٢٣

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ..... ﴾ ..... ٣٥

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ..... ﴾ ..... ٣٥

- ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدلاً ... ﴾ ..... ٣٦، ٣٥
- ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ... ﴾ ..... ٣٩
- ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ... ٣٩
- ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ... ﴾ ..... ٣٩
- ﴿ يَنُوحُ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرَتِ جِدَالِنَا ﴾ ..... ٤٠
- ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ... ٤١
- ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ... ﴾ ..... ٤٣
- ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ ... ﴾ ..... ٤٣
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ... ﴾ ..... ٥٠
- ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ... ﴾ ..... ٥٠
- ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ..... ٥١
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ كَبْرُ مَقْتًا
- عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥٢﴾ ..... ٥٢
- ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ
- أَبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ
- سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ..... ٨٠، ٥٤

- ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ ..... ٥٥
- ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ ..... ٥٥
- ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيكِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ ..... ٥٥
- ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيكِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ..... ٥٥
- ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿١٠٦﴾ ﴾ ..... ٥٧
- ﴿ وَلينصرتَ اللهُ من ينصرتَهُ ﴾ ..... ٥٧
- ﴿ وَمَن يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدِ هَدَىٰ... ﴾ ..... ٥٧
- ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ..... ٥٨

﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٥٨﴾  
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ

الكَذِبِينَ ﴿٥٩﴾ ..... ٥٨

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا  
أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ ..... ٥٩

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٦٠﴾ ..... ٦٠

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ ..... ٦١

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا  
مُبِينًا ﴿٦١﴾ ..... ٧١

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي  
الْصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ..... ٧١

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّنْ آمَرْنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا  
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ

عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٣﴾ ..... ٧١

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٤﴾ ..... ٧٣

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ

- ٧٦..... ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿١٠﴾  
 ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ  
 ٧٩..... السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١١﴾  
 ٧٩..... ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ﴿١٢﴾  
 ٧٩..... ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ﴿١٣﴾  
 ٧٩..... ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ﴿١٤﴾  
 ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ  
 ٨٠..... هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾  
 ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ  
 ٨٠..... هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾  
 ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ  
 ٨٠..... هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ ﴿١٧﴾



## فهرست الأحاديث النبوية

## فهرست الأحاديث النبوية

- «اللهم آت نفسي تقواها،....» ..... ١٦
- «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب،...» ..... ٢٤
- «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة» ..... ٣٣
- «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» .. ٣٦
- «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» ..... ٣٦
- «إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة...» ..... ٣٧
- «المراء في القرآن كفر» ..... ٣٧
- «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب» ... ٣٨
- «إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا...» ..... ٣٨
- «لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي،...» ..... ٤٢
- «كل مولود يولد على الفطرة» ..... ٥٠
- «تركت فيكم أمرين...» ..... ٥٢
- «إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد؛...» .. ٥٣
- «من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده،...» ..... ٥٩
- «إنما بعثت؛ لأتمم صالح الأخلاق» ..... ٧٧

## فهرست الآثار

## فهرست الآثار

- «وقال ابن عباس: كونوا ربانيين حلماء فقهاء، ويقال الرباني: الذي يربي الناس...»..... ٥٤، ١٨، ٧
- «الربانيون: الفقهاء، وهم فوق الأخبار»..... ١٣، ٩
- وعن سعيد بن جبیر في قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: «حكماء وفقهاء»..... ١٠
- وعن أبي رزین في قوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: «فقهاء علماء»..... ١٠
- «إذا كان الرجل عالماً عاملاً، معلماً قیل له: هذا رباني، فإن حرم عن خصلة منها، لم یقل له رباني»..... ١٠
- «الرباني هو العالم الحكيم»..... ١٣
- عن عبد الله بن مسعود: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: «حكماء علماء»..... ١٣
- ابن جبیر: «حكماء أتقياء»..... ١٣
- وقال ابن زید: «الربانيون: الولاية،...»..... ١٣
- «حدثوا الناس بما يعرفون،...»..... ٢٩، ٢٢

- «حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً» ..... ٣١
- وقال مجاهد: «ربانيين فقهاء» ..... ٣١
- «ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم؛ إلا كان لبعضهم  
فتنه» ..... ٣٤
- «يهدمه زلّة عالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة  
المضلين» ..... ٣٦
- «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف  
معانيهن والعمل بهن» ..... ٥٢
- «من وعظ أخاه سرّاً؛ فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية؛  
فقد فضحه وشانه» ..... ٦٣



## فهرست الموضوعات

## فهرست الموضوعات

- ٣ ..... مقدمة
- ٦ ..... إحكام المباني بين الربانية والرباني
- ١٨ ..... الثمر الداني في أنواع الربانية والرباني
- ٥٢ ..... ضوابط التربية الربانية
- ٨٣ ..... فهرست الآيات القرآنية
- ٨٨ ..... فهرست الأحاديث النبوية
- ٨٩ ..... فهرست الآثار
- ٩١ ..... فهرست الموضوعات



رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

الرُّوضَةُ البَدِيَّةُ

فِي

فِقْهِ التَّرْبِيَةِ الرَّبَّانِيَّةِ

بِقَاسِمِ

أَبِي إِسْمَاعِيلَ سَلِيمِ بْنِ عَبْدِ الْمُهَلَّبِيِّ

كَانَ اللَّهُ لَهُ

دَارُ البِلَادِ الْأَمِينِ

توزيع الدار الإسلامية الجزائر

0021371250836